المعلقات مضامينها وأساليبها:

المعلّقات قصائد مطولة مأثورة عند العرب، هي مثلهم الجمالي الأعلى: لأنها أنموذج أرقى لما وصل إليه الشعر الجاهلي الذي بقي لقرون مثار إعجاب الشعراء والنقاد. وهي تسمى المعلقات بالمذهبات والسموط والمشهورات، والمشهورة والطوال والجاهليات، وسماها الباقلاني صاحب الإعجاز السبعيات نسبة إلى عدد أصحابها[1]، وسماها ابن قتيبة السبع[2].

ومن الواضح أن هذه التسميات هي نتيجة شعورية لعلاقة قراء الشعر القديم، وهذا ما دفع إلى توكيد انعدام السبب العلمي الذي أوجد هذه التسميات مجتمعة[3]3 . وقد غلب الرقم سبعة عليها ، ولا يخفى ما في هذا الرقم من بعد سحري يجعل المعلقة مرتبطة بعالم الأسطورة والقداسة[4]، ويثير هذا الرقم كثيرا من الاعتقادات التي أحاطت الشعر بتفسيرات كالجن(وادي عبقر) والشياطين والسحر.

يقول ابن خلدون في هذا الشأن :"اعلم أن الشعر كان ديوانا للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم. وكان رؤساء العرب متنافسن فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر، لتمييز حوكه، حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام، موضع حجهم، وبيت أبيهم إبراهيم؛ كما فعل امرؤ القيس بن حجر، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة، والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع. فإنه كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها، من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته، ومكانه في مضر[5] "...

فالمعلقات عند ابن خلدون سبع، وهي وإن ارتبطت بتنافس الشعراء في عكاظ إلا أن تعليقها حددته منزلة الشاعر ومنزلة قبيلته في مضر، وبذلك فهو يرجع

---

[1]– الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص32،33.

[2]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص167.

[3]– عفت الشرقاوي، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص183.

[4]– جابر عصفور، غواية التراث "كتاب مجلة العربي"، ص32.

[5]– ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، ج2، ص1122.

التعليق إلى أسباب خارجة عن النص، الأساس فيه حسب رأيه العصبية. واللافت للنظر إيراد "علقمة الفحل" الذي لم يكن من أصحاب المعلقات في معرض حديثه عن المعلقات وأصحابها. وكلمة ابن خلدون تؤكد سمو المنزلة التي كانت للشاعر في العصر الجاهلي قبل أن يتحول إلى مادح متكسب، فقد كان أسمى درجة من الخطيب[6].

ويذهب صاحب العقد الفريد وابن رشيق إلى أن العرب فضلوا هذه القصائد فكتبوها بماء الذهب وعلقوها على الكعبة. ويرى الدكتور شوقي ضيف أن أمر تعليقها على الكعبة أسطورة، وهو بذلك ينتصر لرأي طائفة من كبار النقاد الباحثين القدامى من أمثال المبرد ، كما لم يذكر أمر تعليقها شراح المعلقات كالزوزني والأنباري والخطيب التبريزي مسمين إياها الطوال والقصائد والمذهبات[7].

اختلف الرواة في عدد المعلقات وأصحابها، فأبو زيد القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب يجعلهم ثمانية، وهم امرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد، وعنترة.

أما الزوزني الذي شرح المعلقات فقد جعلها سبعا ليس بين أصحابها النابغة ولا الأعشى، وأضاف الحارث بن حلزة.

أما أبو زكريا التبريزي فقد أضاف قصيدة عبيد بن الأبرص، فصارت المعلقات عشرا هي: امرؤ القيس، النابغة، زهير، وطرفة بن العبد، ولبيد، وعنترة، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، والأعشى، وعبيد بن الأبرص.

أما سبب تسميتها بالمعلقات، فقال بعضهم إن العرب بلغ من تعظيمهم أياها أن علقوها بأستار الكعبة، وأنكر بعضهم ذلك وأنكروه. وأقدم المنكرين أبو جعفر النحاس النحوي المعروف. وقيل إنها سميت بالمعلقات نسبة إلى كلمة العلق بمعنى النفيس. ويقال أن أول من رواها مجموعة في ديوان خاص بها حماد الراوية. وهي

---

[6]– يقول الجاحظ كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب, وهم إليه أحوج, لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم، "البيان والتبيين"، تحقيق عبد السلام محمد هارون , القاهرة ,1975، ص83.

[7]– الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص18.

عنده سبعة: لإمرئ القيس، وزهير، وطرفة، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وعنترة.

واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع، وقيل أن العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الأشعار، فإذا استحسن الملك قصيدة قال: علقوها وأثبتوها في خزائني.

وبعضهم قال أن حماد الراية لما رأى زهد الناس في الشعر، جمع هذه السبع وحضهم عليها، وقال لهم هذه هي المشهورات، فسميت القصائد المشهورة، أما تسميتها بالمذهبات فلأنها تكتب بماء الذهب. وأما السموط: فجمع سمط ومعناه القلادة، والتسمية قائمة على التشبيه. ولكونها سبع على المشهور سميت بالسبع الطوال.

لقد قسم العرب أصحاب المعلقات طبقات، أولاها ثلاثة شعراء هم أولا امرئ القيس، وزهير، ولبيد، وثانيها أربعة شعراء هم: عنترة والنابغة والأعشى وعمرو بن كلثوم، والطائفة الثالثة تتكون من شاعرين هما: طرفة والحارث بن حلزة، ثم أضيف إلى هذه الطوائف شاعر هو عبيد بن الأبرص ليكتمل العدد عشرة[8].

إن لهذا الاختلاف في العدد والرتبة علاقة بالاختلاف في الحكم النقدي الذي يرفع نصا ويخفض آخر ويقدم شاعرا ويؤخر غيره، كما كان للعصبية القبلية دورها في الإعلان عن أشعر شعراء العرب، إذ الشاعر مفخرة العرب.

وبالرغم من كل ذلك فإن معلقة امرئ القيس تتصدر المعلقات عند من ذكروها ودرسوها، كما أنها الأولى لدى الدارسين المختصين في نقد الشعر قدماءهم ومحدثوهم.

أهم شراح المعلقات:

1- شرح أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، المتوفى (327هـ/929م).

2- شرح محمد بن أحمد بن كيسان، المتوفى (320هـ/932م).

---

[8]- André Miquel, La littérature Arabe, 1ere édition, presses universitaires de France, Paris

1969, pp24, 25

3- شرح أحمد بن محمد النحاس، المتوفى (338هـ/950م).
4- شرح الحسين بن أحمد الزوزني، المتوفى(486هـ/1093م).
شرح القصائد العشر وذكر رواياتها ليحيى بن علي التبريزي، المتوفى(502هـ/1109م) .
5- شرح موهوب بن أحمد الحصري.

نبذة عن زهير بن أبي سلمى:

هو زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار المزني، من قبيلة مضر، عاش حياته في نجد وهو من عائلة مرموقة أحبت الشعر، تزوج مرتان الأولى من أم أوفى والتي ذكرها في مطلع معلقته، والثانية من نفس قبيلتها بعد أن طلقها، وله ابنان من زوجته الثانية هما كعب وبجير، وتوفي قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام أما ولداه فأسلما. كان يطلق على قصائده اسم الحوليات لأنه كان يكتبها في شهر ثم ينقحها وينقدها في سنة كاملة، وهو يعدّ من أبرز الشعراء الذين غلبت الحكمة على أشعارهم، ومن شعره في الحكمة قوله:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولًا لا أبا لك يسأم
وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما غد عمي
ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطى بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يجعل المعروف من دون عِرضه يفِره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

الخصائص الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى:

امتاز شعر زهير بن أبي سلمى بمجموعة من الخصائص والسمات الفنية، من ضمنها ما يأتي: الأسلوب يعد زهير بن أبي سلمى من الشعراء المجددين الذين مالوا إلى الصنعة دونما إفراط، فكان شعره متجددًا، كما وصل شعره إلى مرحلة فنية رفيعة في النظم، واحتوى على الكثير من المحسنات البديعية. فيديو قد يعجبك: المعاني معاني أشعار زهير بن أبي سلمى صادقة نابعة من قلبه واستقاها من خبراته وتجاربه، لذا فهي سهلة الوصول إلى أذن السامع وقريبة من القلب. الأغراض

الشعرية تعددت الأغراض الشعرية عند زهير بن أبي سلمى، وأجادها بدرجات، فقد أبدع في الحكمة والمدح والغزل، وأجاد في الوصف والفخر والعتاب، كما قال وأجاد في الرثاء والهجاء والاعتذار، لكن بدرجة أقل من الأغراض الشعرية السابقة، ومن أقواله في المدح ما امتدح به اثنان من أسياد العرب لما قاما بالإصلاح بين قبيلتين، أحدهما اسم هرم ابن سنان وقال فيه: من يلق يومًا على علاته هرمًا يلق السماحة منه والندى خلقا الألفاظ، يُشار إلى أن الألفاظ التي استخدمها زهير بن أبي سلمى في شعره كانت جزلة لكنها سهلة الفهم في الوقت ذاته، وكان ينتقيها بعناية فائقة ليصل المعنى بأحاسيسه كما شعر به إلى السامع. الخيال يظهر أن زهير بن أبي سلمى كان يعمد في الكثير من أشعاره إلى الخيال بهدف إبراز معاني الشعر بصورة شفافة، مع الحرص على عدم الغموض وصعوبة الألفاظ التي تعبر عنه. الحكمة إذ يمكن أن توصف قصائده بأنها قصائد تعليمية، وهي تخاطب العقل دون القلب، إلا أنها تلامسه على الرغم من ذلك لصدقها وقوة العاطفة والحكمة فيها.[9]

2/ معلقة امرؤ القيس: معلقة امرؤ القيس هي من أشهر قصائد العرب في العصر الجاهلي، وفيما يأتي تحليل موجز لها::

قِفا نَبْكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقطِ اللوى بَيْنَ الدَخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتوضِحَ فَالْمِقْراةِ لَم يَعفُ رَسمُهَا لِما نَسَجَتْها مِن جَنوبٍ وَشَمْأَلِ

تَرى بَعَرَ الأَرْآمِ في عَرَصَاتِها وَقيعانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلفُل

يقول امرؤ القيس لصاحبيه في رحلته توقفا هنا على أطلال ديار الأحباب لنبكي فراقهم، ويذكر بعض المواضع التي قد مرّ عليها مثل الدخول وحومل والمقراة، ويصف حال الديار بعد هجرة أهلها وكيف أنّ آثار الحيوانات ما تزال فيها.

كَأَنّي غَداةَ الْبَينِ يَوْمَ تَحَمَلُوا لَدى سَمُراتِ الحَيّ ناقِفُ حَنظَلِ

وُقوفًا بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيّهُمْ يَقولونَ لا تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَمَّلِ

وَإِنَّ شِفائي عَبْرَةٌ مَهَراقَةٌ فَهَل عِنْدَ رَسمٍ دارِسٍ مِن مُعَوَّلِ

كَدَأبِكَ مِن أُمِّ الحُوَيرِثِ قَبلَهَا وَجارَتِها أُمِّ الرَبابِ بِمَأسَلِ

فَفاضَت دُموعُ العَينِ مِنّي صَبابَةً عَلى النَحْرِ حَتّى بَلَّ دَمعِيَ مِحمَلي

[9] الخصائص الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى - موضوع(mawdoo3.com)

يقول هنا إنّه كان يوم رحيل الأحباب مثل نازع الحنظل الذي يبكي بسبب رائحته القوية، فإنّ دموعه تسيل بشكل كبير، ثمّ يقول إنّ أصحابه كانوا يواسونه وينصحونه بالتجلد والتصبر، بينما يرى هو أنّ دواءه الدموع التي تريح خاطره، ويعدد امرؤ القيس حبيباته اللواتي عرفهنّ سابقًا فيبكي حتى تتخضب لحيته بدموعه:

أَلا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ وَلا سِيَّما يَومٍ بِدارَةِ جُلجُلِ

وَيَومَ عَقَرتُ لِلعَذارى مَطِيَّتي فَيا عَجَبًا مِنْ كورِها المُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذارى يَرتَمينَ بِلَحمِها وَشَحمٍ كَهُدّابِ الدِمَقسِ المُفَتَّلِ

يذكر امرؤ القيس هنا يوم دارة جلجل وهو اليوم الذي التقى فيه بعنيزة وصويحباتها عند النهر، وفي هذا اليوم ذبح امرؤ القيس ناقته وأطعم منها الفتيات، ويتعجب امرؤ القيس من كم اللحم والشحم الذي احتوت عليه ناقته.

وَيَومَ دَخَلتُ الخِدرِخِدرَ عُنَيزَةٍ فَقالَت لَكَ الوَيلاتُ إِنَّكَ مُرجِلي

تَقولُ وَقَد مالَ الغَبيطُ بِنا مَعًا عَقَرتَ بَعيري يا اِمرَأَ القَيسِ فَانزُلِ

فَقُلتُ لَها سيري وَأَرخي زِمامَهُ وَلا تُبعِديني مِن جَناكِ المُعَلَّلِ

فَمِثلُكِ حُبلى قَدْ طَرَقتُ وَمُرضِعٍ فَأَلهَيتُها عَن ذي تَمائِمَ مُحوِلِ

إِذا ما بَكى مِن خَلفِها اِنصَرَفَتْ لَهُ بِشِقٍّ وَتَحتي شِقُّها لَم يُحَوَّلِ

وَيَومًا عَلى ظَهرِ الكَثيبِ تَعَذَّرَت عَلَيَّ وَآلَت حَلفَةً لَم تُحَلَّلِ

يصف امرؤ القيس هنا كيف دخل على عنيزة في هودجها وكيف خافت منه أن يفضحها، ولكنّه لم يخَف بل قال لها أن تهوّن عليها وأن تتركه يستمتع بالوقت معها، ويصف لها كيف أنه معشوق من النساء وينال غايته منهنّ حتى ولو كانت حبلى أو مرضع:

أَفاطِمَ مَهْلًا بَعضَ هَذا التَدَلُّلِ وَإِن كُنتِ قَد أَزمَعتِ صَرْمي فَأَجْمِلي

وَإِن تَكُ قَد ساءَتكِ مِنّي خَلِقَةٌ فَسُلّي ثِيابي مِن ثِيابِكِ تَنسُلِ

أَغَرَّكِ مِنّي أَنَّ حُبَّكِ قاتِلي وَأَنَّكِ مَهما تَأمُري القَلبَ يَفعَلِ

وَما ذَرَفَت عَيناكِ إِلّا لِتَضرِبي بِسَهمَيكِ في أَعشارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ

يصف امرؤ القيس هنا حاله مع فاطمة ابنة عمه التي نُفي بسببها خارج ديار والده، فيخاطبها أن هوّني عليك ولا تحرميني منكِ ولا تتدللي عليّ لأنَّكِ تعلمين أنّني أحبك،

فيقول لها إنّه مستعد للتكفير عن أخطائه، وأنّ دموعها أشدّ عليه من السهام التي تضربه في قلبه:

وَبَيضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها تَمَتَّعتُ مِن لَهْوٍ بِها غَيرَ مُعجَلِ

تَجاوَزتُ أَحراسًا إِلَيها وَمَعشَرًا عَلَيَّ حِراسًا لَو يُسِرّونَ مَقتَلي

إِذا ما الثُرَيّا في السَماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ

يصف هنا كذلك امرؤ القيس إحدى مغامراته العاطفية مع فتاة ابنة عزّ وجاه ونسب وحسب، ويبدو أنها ابنة ملك أو زعيم قبيلة كبير لأنّ حول غرفتها حراساً كُثُر على استعداد لتقطيع الدخلاء إربًا إربًا.

فَجِئتُ وَقَد نَضَّت لِنَومٍ ثِيابَها لَدى السِترِ إِلّا لِبسَةَ المُتَفَضِّلِ

فَقالَتْ يَمينَ اللَهِ ما لَكَ حيلَةً وَما إِن أَرى عَنكَ الغِوايَةَ تَنجَلي

خَرَجتُ بِها أَمشي تَجُرُّ وَراءَنا عَلى أَثَرَينا ذَيلَ مِرطٍ مُرَحَّلِ

يصف امرؤ القيس وصوله إلى مخدعها وكيف كانت ترتدي لباس النوم، وكيف تفاجأت به وبجرأته، ثمّ يصف خروجهما من الخيمة إلى خارج ديار قومها:

فَلَمّا أَجَزنا ساحَةَ الحَيِّ وَانتَحى بِنا بَطنُ خَبتٍ ذي حِقافٍ عَقَنقَلِ

هَصَرتُ بِفَودي رَأسِها فَتَمايَلَت عَلَيَّ هَضيمَ الكَشحِ رَيّا المُخَلخَلِ

إِذا اِلتَفَتَت نَحوي تَضَوَّعَ ريحُها نَسيمَ الصَبا جاءَت بِرَيّا القَرَنفُلِ

ثمّ يصف امرؤ القيس كيف جاوزوا ساحة حي قومها وخرجا إلى مكان بعيد لينال منها ما ينال العاشق من معشوقته، فيصف ما دار بينهما وكذلك ريح جسدها الذي يشبه ريح الأزهار والورود. الأفكار الرئيسة في معلقة امرئ القيس:

في معلقة امرئ القيس بعض من الأفكار الرئيسة، وأهمّها الآتي:

الوقوف على ديار الأحباب والبكاء عليها. البكاء بسبب مغادرة الأحباب. تذكّر الأيّام الخوالي مع عنيزة وصويحباتها. تذكّر فاطمة ومحاولتك الاعتذار منها. تذكّر مغامرته مع تلك الفتاة التي أخذها خارج ديار قومها.

الصور الفنية في معلقة امرئ القيس ورد في معلقة امرئ القيس بعض الصور الفنية، ومنها الآتي: تَرى بَعَرَ الأَرْآمِ في عَرَصَاتِها ::وَقيعانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلفُلِ شبّه بعر الآرام في نواحي الأرض بأنّه حب الفلفل، وهنا حُذفَ وجه الشبه، فالتشبيه هو

تشبيه مُجمَل. كَأَنّي غَداةَ الْبَينِ يَوْمَ تَحَمَلُوا :::لَدى سَمُراتِ الحَيّ ناقِفُ حَنظَلِ شبّه الشاعر نفسه هنا بأنه من شدة البكاء مثل الذي يشق الحنظل، ولكنه حذف وجه الشبه، فالتشبيه هو تشبيه مُجمَل. فَظَلَّ العَذارى يَرتَمينَ بِلَحمِها وَشَحمٍ كَهُدّابِ الدِمَقسِ المُفَتَّلِ شبّه الشاعر لحم الناقة وشحمها بأنّه كهدّاب الدمقس، غير أنّه لم يذكر وجه الشبه، فالتشبيه هنا تشبيه مُجمَل[10].

3/شرح معلقة عنترة بن شداد:

عنترة العبسي هو عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي، المولود في عام 525م، ويعدّ عنترة أشهر شعراء العرب في الجاهليّة، تلك الفترة التي سبقت عهد الإسلام، وهو الشاعر والفارس الذي عُرف بشعره الغزليّ العفيف في محبوبته، وقد أحبّ ابنة عمّه عبلة، وتقدّم عنترة لخطبتها ولكنّ عمّه رفض تزويجها لعبد أسود، أمّه من الأحباش السّود واسمها زبيبة، وقد كانت إحدى سبايا والده شدّاد ومن عبيده، وقد ورث عنترة عن أمّه البشرة السوداء، وكان كنيته أبي المغلس؛ لأنّه كان يسير لغاراته في الغلس، أي في ظلمة الليل، كما لُقّب بعنترة الفوارس؛ لأنّه من الفرسان المعدودين عند العرب، فقد كان من أشدّ الرجال وأشجعهم في زمانه، كما كان حليمًا يعرف الفرق بين التهوّر والشجاعة، وقد اعترف به والده ابنًا بعد أن أظهر شجاعةً وفروسيّة في الحرب لم تكن عند غيره من العرب، وهو من شعراء المعلقات، توفّي عام 601م.

معلقة عنترة بن شداد هي إحدى القصائد الشعرية التي كتبت باللغة العربيّة، من نظم الشاعر العربيّ عنترة العبسي، وقد نظمها في القرن السادس الميلادي، وهي على البحر الكامل، وكانت الأغراض الشعريّة الموجود فيها بشكلٍ أساسي هي الحماسة والوصف، وهي تحتوي على تسعة وسبعين بيتًا من الشّعر، وقد تنوعت الموضوعات فيها بين مخاطبة الشاعر لمحبوبته ووقوفه على الأطلال ووصفه لفرسه ووصفه للخمر، وقد قام عنترة بنظم معلقته بسبب رجل قام بشتمه وتعييره بسواد بشرته وبأمّه وبأخوته، وقال بأنّ عنترة لا يعرف قول الشعر، فبدأ عنترة إبّان ذلك بنظم قصيدته هذه بادئًا كغيره من شعراء الجاهلية بوصف الفرق ثم وصف حبيبته عبلة

[10] تحليل معلقة امرؤ القيس - موضوع(mawdoo3.com)

ومخاطبتها، ثم الحديث عن الشجاعة والفروسية وغيرها،وفيما يأتي بعضٌ من أبيات معلقة عنترة: هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاِسلَمي

فَوَقَفتُ فيها ناقَتي وَكَأَنَّه فَدَنٌ لِأَقضِيَ حاجَةَ المُتَلَوِّمِ

وَتَحُلُّ عَبلَةُ بِالجَواءِ وَأَهلُنا بِالحَزنِ فَالصَمّانِ فَالمُتَثَلَّمِ

حيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقادَمَ عَهدُهُ أَقوى وَأَقفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيثَمِ

حَلَّت بِأَرضِ الزائِرينَ فَأَصبَحَت عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ اِبنَةَ مَخرَمِ

علّقتُها عَرَضاً وَأَقتُلُ قَومَها زَعماً لَعَمرُ أَبيكَ لَيسَ بِمَزعَمِ

شرح معلقة عنترة بن شداد قال التبريزي إنّ عنترة نظم معلقته بعد أن نال حريته من العبوديّة، واعترف أبوه به ولدًا له، كما قيل إنّ رجلًا من عبس قد شتم عنترة وعيّره بأمّه وبانّه عبدٌ أسود، فبدا عنترة يقول الشعر مفتخرًا بنفسه وببسالته وبشجاعته وفروسيته متحدّيًا كل خصومه، فكانت هذه الأبيات من أجمل ما قيل في الشعر العربيّ والجاهليّ، وقد بدأها بوصف حبّه لابنة عمّه عبلة وفيما يأتي شرح لأبيات معلقة عنترة العبسي: بدأ عنترة قصيدته بالسؤال عن حال الشعراء الذين لم يتركوا موضعًا لكتابة الشعر إلا كتبوا به ووصفوه ثم انتقل ليتساءل عن معرفته بدار حبيبته بعد شكّه بها، وطلب من ديار المحبوبة أن تتكلم وتخبره عن أهلها وما فعلوا في كل تلك الأيام، ووقف بعدها عن استخباره وسؤاله وألقى عليها التحيّة فقال:

طاب صباحك وطاب عيشك وسلمت يا ديار الأحبّة، وتابع في الحديث عن ديار الحبيبة فقال أنّه حبس ناقته فيها، وشبّه ناقته بالقصر، وقال إن حبسه الناقة كان وقوفًا في ديار المحبوبة من أجل قضاء حاجته من البكاء عليها، والحزن على أيام وصالها، ثم قال بأنّ عبلة وأهلها نزلوا بموضع يدعى الجواء، أمّا أهله فنزلوا بمواضع تدعى الحَزن والصماء والمتثلم، ورجع بعدها لتحية الأطلال وبأنّها قد قدم عليها العهد بعد أن خلت من أهلها كلّ ذلك الزمن وكان من بين أهلها محبوبته عبلة، وكان ذلك في الأبيات الآتية:

هلْ غادرَ الشُّعراءُ منْ متردَّم أم هلْ عرفتَ الدارَ بعدَ توهمِ

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاِسلَمي

فَوَقَفتُ فيها ناقَتي وَكَأَنَّها فَدَنٌ لِأَقضِيَ حاجَةَ المُتَلَوِّمِ
وَتَحُلُّ عَبلَةُ بِالجَواءِ وَأَهلُنا بِالحَزنِ فَالصَمّانِ فَالمُتَثَلَّمِ
حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقادَمَ عَهدُهُ أَقوى وَأَقفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيثَمِ

ثم وجه عنترة الكلام لمحبوبته بأنّها قد نزلت بأرض أعدائه، فأصبح طلبها صعبًا جدًا عليه، ثم قال بأنّه أحبّها فجأةً ومن غير قصد منه، وكان ذلك من نظرة واحدة نظرها لها فكانت كافية بأن يشغف بها حبًّا، وكان ذلك على الرغم من قتاله وصراعه مع قومها، كما كان طامعًا بوصالها في خضمّ كل ذلك القتال والعداء وهذا طمع ليس في موضعه، وتابع في وصف حبّه لها بقوله أنّها نزلت في قلبه منزلة المحبّ المكرم، ولتكن متيقنة من ذلك وألا يخطر لها أن تظنّ غيرهن ثم تساءل عن طريقة ليزورها بها وقد أقام أهلها وقت الربيع بموضعين وأقام أهله في موضع بعيد عنها، وبين المواضع مسافة كبيرة ومشقّة في السفر، ثم قال لها إن كانت قد اعتادت الفراق ووطّنت نفسها عليه، فإنّه قد شعر بذلك عندما غادرت، ولم ينذره برحيلها في ذلك الوقت إلا انقضاء مدّة الكلأ والانتجاع فصارت إبلهم تستفّ حي الخمخم في وسط الديار، وقد وصف قافلة أهلها عندما غادروا بأنّه كان فيها اثنتان وأربعون ناقة سوداء، وهذه النوق الغالية الثمن هي دليل على ثراء أهلها، وكان ذلك في الأبيات الآتية:

حَلَّت بِأَرضِ الزائِرينَ فَأَصبَحَت عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ اِبنَةَ مَخرَمِ
عَلِّقتُها عَرَضاً وَأَقتُلُ قَومَها زَعماً لَعَمرُ أَبيكَ لَيسَ بِمَزعَمِ
وَلَقَد نَزَلتِ فَلا تَظُنّي غَيرَهُ مِنّي بِمَنزِلَةِ المُحَبِّ المُكرَمِ
كَيفَ المَزارُ وَقَد تَرَبَّعَ أَهلُها بِعُنَيزَتَينِ وَأَهلُنا بِالغَيلَمِ
إِن كُنتِ أَزمَعتِ الفِراقَ فَإِنَّما زُمَّت رِكابُكُمُ بِلَيلٍ مُظلِمِ
ما راعَني إِلّا حَمولَةُ أَهلِها وَسطَ الدِيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمخِمِ
فيها اِثنَتانِ وَأَربَعونَ حَلوبَةً سوداً كَخافِيَةِ الغُرابِ الأَسحَمِ

ثم وصف عنترة محبوبته وجمالها، وشبّه رائحتها برائحة المسك، كما شبهها بالرّياض التي لم ترعى فيها المواشي بعد، بخضرتها وجمالها وقد أمطرت على هذه الرياض أمطار متواصلة لا انقطاع حتى تركت حفر من المياه كأنّها دراهم في استدارتها

وصفائها وبياضها وقد استوطنها الذباب وبدأ صوته فيها كصوت غناء شارب الخمر، وكان ذلك في الأبيات الآتية:

إذ تستبيكَ بذي غروب واضح عذبٍ مقبلهُ لذيذُ المطعم

وكأَنَّ فَارَةَ تاجرٍ بقسيمَةٍ سبقتْ عوارضها اليكَ من الفمْ

أوْ روْضَةً أُنُفاً تضمَّنَ نبتَها غيْثٌ قليلُ الدِّمن ليسَ بمَعْلَمِ

جادَت عَليهِ كُلُّ بِكرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكنَ كُلَّ قَرارَةٍ كَالدِرهَمِ

سَحّاً وتسْكاباً فَكلَّ عشيَّةٍ يجري عليها الماءُ لم يتصرَّم

وَخَلا الذُبابُ بِها فَلَيسَ بِبارِحٍ غَرِداً كَفِعلِ الشارِبِ المُتَرَنِّمِ

ِزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ قَدحَ المُكِبِّ عَلى الزِنادِ الأَجذَمِ

ثم يتابع فيقول إنّها أيّ حبيبته تنعم بالنوم الهانئ وهو يكابد عناء الحروب والأسفار، وأنّه يستوطن ظهر فرسه غليظ القوام ضخم الجنبين كما يستوطن غيره حشية الثياب وكان ذلك في الأبيات الآتية:

تمسي وتصبحُ فوق ظهر حشيةٍ وأبيتُ فوق سرَاةِ أدْهم مُلْجَم

وحشيتي سرجٌ على عبل الشَّوى نَهْدٍ مَراكِلُهُ نَبيلِ المحزِمِ

ثم يقول عن ناقته هل تراها ناقة شدن ستبلغه ديار المحبوبة، وهي ناقة قويّة على الأسفار ثم يتابع في وصف الناقة قائلًا بأنّها ناقة نشيطة ومرحة على الرغم من أنّها قد سارت معه الطريق كلّه، وقد شبّه سرعتها بسرعة الظليم الذي تأوي إليه النعام كما تأوي إلى راعٍ أعجمي إبلٌ يمانيّة، فشبه سواد الظليم بسواد الراعي الأعجمي، فجعلت هذه النعام الظليم نصب عينيها ولم تعد تنحرف عنه، ثم شبهه بهودج النساء أيّ كالخيمة على مكان مرتفع، وشبّه هذا الظليم بعبد أسود يلبس الفرو وليس له أذن فليس للنعام آذان، وكان هذا الفرو هو الجناحين، وكان ذلك في الأبيات:

هل تبلغنى دارها شدنية لُعِنتْ بمَحْرُوم الشَّرابِ مُصرَّم

خَطّارَةٌ غِبَّ السُرى زَيّافَةٌ تَطِسُ الإكامَ بِوَخذِ خُفٍّ ميثَمِ

وكأنما أقصُ الإكام عشيةً بقريبِ بينِ المنْسِمين مُصلَّم

تأوي له قلصُ النَّعام كما أوتْ حزقٌ يمانيةٌ لأعجمَ طمطمِ

يتبعنَ قلة رأسهِ وكأنهُ حِدْجٌ على نعْش لهُنَّ مخيَّمِ

صَعلٍ يَعودُ بِذي العُشَيرَةِ بَيضَهُ كَالعَبدِ ذي الفَروِ الطَويلِ الأَصلَمِ

ثمّ عاد لوصف ناقته بأنّها شربت من ماء هذا الموضع فأصبحت نافرة تميل عن مياه الأعداء، فالعرب تسمي أعدائها بالديلم لأنّ الديلم من أصناف أعدائها، وكأنّ ناقته تتنحى إلى جانبها الأيمن وذلك لفرط نشاطها في السير فهي لا تستقيم في سيرها ، وتبتعد مخافة أن يضربها بالسوط، ويتابع في وصف الناقة فيقول بأنّها إذا بركت صدر عنها أنين فكان صوت أنينها كصوت القصب المكسور الذي يُصدر صوتًا إذا برك شيء عليه، كما شبه العرق الذي يسيل من رأسها وعنقها بالقطران الذي يتقطر من قمقم يغلي على النار، وعرق الإبل لونه أسود لذلك شبهه به، وشبه رأسها بالقمقم لصلابته، ويتابع فيقول بأنّ العرق ينبع من خلف أذن الناقة، وبأنّها ناقة غضوب وتتبختر في سيرها كأنّها فحل في وثاقة خلقها وضخامتها، وكان ذلك في الأبيات الآتية:

شَربتْ بماءِ الدُّحرُضينِ فأَصْبحتْ زوراءَ تنفرُ عن حياض الدَّيلم

هِرٍّ جَنيبٍ كلّما عطفتْ لهُ غضبى اتقاها باليدين وبالفم

بَرَكَت عَلى جَنبِ الرِداعِ كَأَنَّما بَرَكَت عَلى قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ

وَكأَنَّ رُبّاً أَو كُحَيلاً مُعقَداً حَشَّ الوَقودُ بِهِ جَوانِبَ قُمقُمِ

ينْباعُ منْ ذِفْرَى غَضوبٍ جَسرَةٍ زيافةٍ مثل الفَنيق المُكْدَمِ

إنْ تغدفي دوني القناع فانني طبٌّ بأخذ الفارس المستلئم

ثمّ يقول مخاطبًا محبوبته أثني عليّ يا حبيبتي بما تعرفينه عني من المحامد والمناقب، فأنا رجلٌ سهل المُخالقة والمُخالطة مالم يأخذ أحدٌ حقّي، أمّا إذا ظلمني أحد ما فإنّ ظلمي كَريه مُرّ المذاق كأنّه العلقم، فأنا الذي شرب الخمر بالقدح المشوف، وذلك دليل على الجود والكرم، ويتابع فيقول وقد شربتها بزجاجة صفراء عليها خطوط، وبدأت بصب الخمر من الإبريق إلى الزجاجة، ويكما فخره بنفسه فيقول بأنّه ولو شرب الخمر فإنّه يُهلك ماله غير آسف عليه، ولكنّه لا يُشين عرضه، فهو تامّ العرض، وسكره ذلك لا يحمله إلا على مكارم الأخلاق، ثم يقول إذا ما صحى من سكرته، فسيبقى جوادًا غير مقصّر فيفارقه السكر ولا يفارقه الكرم والجود، ويتابع فخره بأنّه امرؤ لا ينقص السكر من عقله شيئًا، وكان ذلك في الأبيات الآتية:

أثني عليَّ بما علِمْتِ فإنني سمحٌ مخالقتي إذا لم أظلم
وإذا ظُلمْتُ فإنَّ ظُلميَ باسلٌ مرٌّ مذَاقَتهُ كَطعم العَلْقم
ولقد شربتُ من المدامة بعد ما رَكَدَ الهواجرُ بالمشوفِ المُعْلمِ
بزُجاجةٍ صفْراءَ ذاتِ أسرَّةٍ قرنتْ بأزهر في الشمالِ مفدَّم
فإذا شربتُ فإنني مُسْتَهْلِكٌ مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلم
وإذا صَحَوْتُ فما أُقصِّرُ عنْ ندىً وكما عَلمتِ شمائلي وَتَكَرُّمي

ثمّ يقول مخاطبًا عبلة بنت مالك تستطعين سؤال الفرسان عن حالي في القتال إن كنت تجهلينها، فإني لم أزل على سرج فرس تتناوب الأبطال على طعنه، فأنا مرة أذهب به إلى الأعداد وينكّلون به، ومرّة ينضم لقوم عددهم كبير، ثم يتابع مخاطبًا عبلة بأنّها إن تسأل الفرسان الذين شهدوا معه الحرب فسوف يخبرونها بأنّه فارس ذو همة عالية في الحروب، ويعفّ عند توزيع الغنائم، وكان ذلك في الأبيات الآتية:

هَلّا سَأَلتِ الخَيلَ يا اِبنَةَ مالِكٍ إِن كُنتِ جاهِلَةً بِما لَم تَعلَمي
إذ لا أزالُ على رحالةِ سابح نهْدٍ تعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ
طَوْراً يجَرَّدُ للطعانِ وتارةً يأوي إلى حصدِ القسيّ عرمرمِ
يُخبرْك من شَهدَ الوقيعَةَ أنني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

ثمّ يقول عنترة بأنّه إذا قابل رجلًا تامّ السلاح تهابُ الأبطال نزاله وقتاله لشدّة بأسه وقوته، يهربون في القتال أو يستسلمون فإذا ما قابله عنترة يسرع في طعنه برمحه المقوّم والصلب فينظم ذلك الرمح في ثياب الفارس، وينفذ من جسمه وثيابه كلها، فحتّى لو كان كريمًا فلن يخلصه كرمه من رمح عنترة الذي تركه للسباع بعد أن قتله، فتتناوله تلك السباع بأسنانها، وكان ذلك في الأبيات الآتية:

ومدَّججٍ كرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ لا مُمْعنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسلم
جادتْ له كفي بعاجل طعنةٍ بمثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّم
فَشَكَكتُ بِالرُمحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ لَيسَ الكَريمُ عَلى القَنا بِمُحَرَّمِ
فتركتهُ جزرَ السباع ينشنهُ يقضمنَ حسنَ بنانهِ والمعصم

ثم يتابع فخره بقوته وصلابة رمحه الذي يخترق الدروع القوية التي يرتديها أشجع الفرسان، وبأنّه هتك درع رجل خفيف اليد وهو من الرجال الذين يلعبون الميسر في

الشتاء ويشربون الخمور في الحانات، فإذا ما رأى هذا الرجل عنترة لم يفرح وكشّر عن أسنانه، فهوى الموت في عنترة، ويكره الموت ويخافه، فيقتله عنترة ويراه طيلة النهار بعد قتله وقد جفّ عليه دمه كأنّه بنان مخضّب بنبات العظلم، وكان ذلك في الأبيات:

وَمِشَكِّ سابغةٍ هَتكتُ فروجَها بالسيف عن حامي الحقيقة معلم

زبدٍ يداهُ بالقداح إذا شتا هتَّاك غايات التجار ملوَّم

لما رآني قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أبدى نواجذهُ لغير تبسُّم

عهدي به مَدَّ النّهار كأَنما خضبَ اللبان ورأسهُ بالعظلم

فطعنتهُ بالرُّمح ثم علوتهُ بمهندٍ صافي الحديد مخذَم

ويقول لما رأى جموع الأعداء وقد هاجموا قومه بأنّه عطف على قومه وقرر القتال لأجلهم، وكانوا يدعونه عندما تُصيب رماح الأداء صدر فرسه وتدخل فيها، وشبهها في طولها بالحبال التي يستسقي بها الإنسان من الآبار، وظلّت الأعداء تنحر بفرسه حتّى تلطخ بالدماء، ومال فرسه عليه مما أصابه من الرماح ووقوعها فيه وشكا إليه بعبراته وحمحمته، ولو كان يعلم هذا الفرس لغة الخطاب لاشتكى لعنترة مما يقاسيه ويعانيه ولكلّم عنترة، ولو كان يستطيع الكلام لشكى إليه مما أصابه من جراح، وكان ذلك في الأبيات:

لما رأيتُ القومَ أقبلَ جمعهُم يتذَامرونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مذَمّم

يدعون عنترَ والرِّماحُ كأنها أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهم

ما زلتُ أرميهمْ بثغرةِ نحره ولِبانِهِ حتى تَسَرْبلَ بالدّم

فازورّ من وقع القنا بلبانهِ وشكا إليّ بعَبْرةٍ وَتَحَمْحُمِ

لَــو كــانَ يَــدري مــا المُحــاوَرَةُ اِشــتَكى وَلَكــانَ لَــو عَلِــمَ الكَــلامَ مُكَلِّمــي[11]

[11] شرح معلقة عنترة بن شداد - سطور (sotor.com)